منارات
manarat

ملحق أسبوعي يصدر عن مؤسسة الهدف للإعلام والثقافة والفنون

فخري كريم

رئيس مجلس الادارة رئيس التحرير

"22عاماً من التعبير الحر والمسؤولية الوطنية"

www.almadasupplements.com

العدد (6026) السنة الثالثة والعشرون - الأربعاء (12) تشرين الثاني 2025

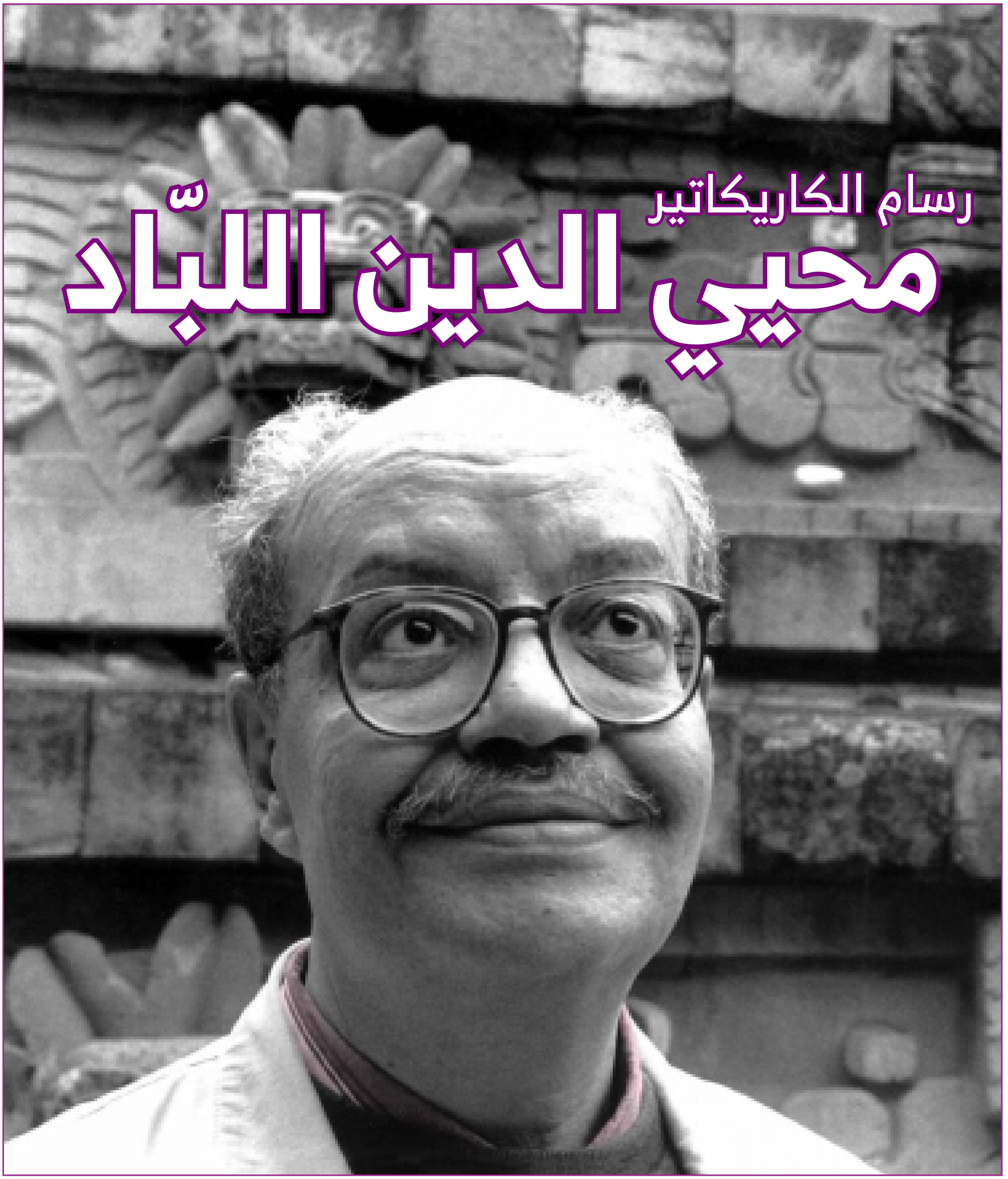

رسام الكاريكاتير

محيي الدين اللبّاد

محيي الدين اللبّاد وثقافة العين

فـــواز طرابلـسي

" إن عشقنا فعذرنا أن في وجهنا نظر». عندما استعذر محيي الدين اللباد للعشق بحاسة النظر أراد اكثر من المعنى المباشر لبيت من شعر الأخطل الصغير غناه محمد عبد الوهاب. أراد ان العين مبتدا العشق، لأنها مرآة الجمال. ولنلاحظ انه تحدث عن «عشق» لا عن «حب». وقال «نظر» بدلا من «بصر».

بيت الشعر هذا يافطة خط عليها محيي الدين اللباد عنوان مشروع وهب له الحياة كلها. هو مشروع إحياء فن النظر وثقافة العين في عالم عربي تطغى عليه الثقافة الشفوية او اختلطت المرئيات عنده او شحّ منه النظر فبات بحاجة إلى منشطات ليستعيد كل ما تملكه العين من إمكانات ومتع. على تنوع مواهبه واهتماماته ومنتجاته، ظل محيي الدين اللباد طوال حياته يؤلف كتابا واحدا ويضيف اليه الصفحات والرسوم والزخارف. انه «كتاب العين». ولا اعتذار من الأصمعي صاحب كتاب بالعنوان ذاته. يؤلف الأخير في لغة الكلمات. وصديقنا يعمل على لغة بلا كلمات. لا يكتفي بتراكيب الخطوط وانعكاس المسطحات والأجسام وأحجام الكتل وموشورات الضوء وهالات الألوان وتدرجات الشفافية والظلال. يضيف اليها ما يؤلفه ويحتكه من عندياته. هو كتاب بسيط يتوجه إلى القارئ لتحريضه على ثلاثة:

. ان يمارس الانتباه والملاحظة المستمرة بعينيه.

. ان لا يهتم بالشكل وحده بل بما وراءه.

. ان يظل يستبين العلاقات بين الأشياء.

تحرير العين أول التفكير تمييز. والنظر تمييز بامتياز. يبدأ اللباد من البداية. الغربيون ينظرون ويقرأون ويكتبون من الشمال إلى اليمين. والعرب ينظرون ويقرأون ويكتبون من اليمين إلى الشمال. ليس يفيدنا عبا يستتبع ذلك الفرق، اللهم الا اصراره على ان تقرأ كتُبه المترجمة إلى اللغات الأجنبية من اليمين إلى الشمال. يدهمنا سؤال: كيف يحلم العرب؟ ويجيب: لعلهم يحلمون ايضا من اليمين إلى الشمال. لاستقامة النظر، يتوجب تحرير العين العربية من «العين الغريبة» وحمايتها من «صيبة العين». يسلط محيي الدين اللباد سوط النقد على النتاج الاستشراقي في الفن الغربي بما يضمره او يفصح عنه من تخييل كولونيالي وتعال عنصري على العرب واهل «الجنوب» عموما. لكنه يدرس ايضا كيف صوّر أهل الجنوب أهل الشمال. فالغاية تحذير الشرقيين من ان يستشرقوا. ينقد أبطال القصص الأجنبية المصورة. وفي مواجهة «سوبرمان» و«باتمان» يدعو لروايات وأشرطة مصورة تروي حكايات ابطال عرب من التاريخ والمخيلة. يدرس الخط العربي بما هو خاصة جمالية من خواص الثقافة والحضارة العربيتين. يدعو لاحيائه بكافة خطوطه ومدارسه. ينبّه باكرا إلى الجمالية الاستنثائية والطواعية العظيمة التي يتمتع بها للخط الكوفي القابل لكل أنواع التجريب والاستخدام. ولفت إلى ان الخط اداة تصوير ايضا: البسملة التي تتشكل بما هو إيحاءة او نغمة، «الطغراء» التي يحررها الفنان من الهيمنة الدهرية للسلاطين ليضعها في متناول الناس: بصمة شخصية او عنصرا في زخرفة او تزويق. وعين الفنان النقدية عين تضامنية. فمحيي الدين اللباد الذي شبّ في ظل التجربة الناصرية ونضال حركات التحرر الوطنية والاجتماعية في القارات الثلاث وانحاز يسارا، أراد أن يكون الفن مثل الماء والخبز والعشق في متناول الجميع. اختار قصدا اشكال التعبير الفني الأيسر وصولا للناس والأسهل رواجا، من كتب الأطفال والبافعين والشرائط المصورة إلى الملصقات ومنوعات الفن المطبوع.

ولا غرابة ان نعرف بولهه الكبير بما تبتكره العبقرية الشعبية من أقنعة افريقية وسجاد يحوكه اطفال مصر او متواليات الألوان البدائية الزاهية على جدران البيوت الفلاحية او تحتية الكفين والقدمين عند أهل الخليج رأى فيها الفنان المرأة وقد تحولت إلى عمل فني. ويبقى أن أبرز مساهمات محيي الدين اللباد هو في التصميم الكتبي الحديث. هنا ايضا، يعود للتراث من أجل اجتراح «حداثة ممكنة» ومرغوبة. الكتاب العربي القديم مثل البيت العربي، يقول. تطالعك خضرة صحن الدار ورطوبة نوفرة الماء وهتاف الفيء قبل ان تستقبلك عبارات التأهيل. «أهلا وسهلا» يقول لك الغلاف وعناوينه والصورة التي تزينه. «شرّفنا بالقراءة»، يدعوك التصميم والخط والزخرفة والتزويق. يكتب اللباد ملاحظا ان كتبنا في الماضي كانت اجمل وأرحب. كان الكاتب او الناسخ يكتب على ثلاثة أرباع الصفحة ويترك ربع الصفحة الباقي بياضا للقارئ يكتب عليه. يستعيد اللباد في ممارسته الغرافيكية هذا التقليد ويطبّقه. انظره مثلا في المجلدات السبعة البديعة من سلسلة كتب «التراث العربي»، التي أصدرها في باريس مع فاروق مردم والياس صنبر. هذا هي المجاورة بين الكاتب والقارئ. والكتاب عند اللباد ضيافة ومجاورة. وهكذا يصير الكتاب «خير جليس في الأنام».

طفل مشاغب يأبى هذا الصنايعي المتواضع الا أن يشارك. لا يكتفي بتسمية معلميه، تعبيرا عن عرفان بجميل، ينظم دورات تدريب لصنايعيين شباب ينقل اليهم تجاربه ويشاركهم التخييل والابتكار والتجريب وهو «الشيخشاب» بينهم. كما يسمي نفسه. فهو يعلم جيدا ان الصنايعي لا تكتمل له شخصية ولا يبرع في «الكار» إلا عندما ينتظم في سلك الحرفة. فلا يكتفي بالتعرف إلى ملهميه وزملائه، يتبرع بالتعريف بهم للقراء من غرافيكيين ورسامي كاريكاتور وأشرطة مصورة، عربا وأجانب.

وفي ثقافة العين عند اللباد ما هو أكثر من ذلك. لأن النظر حاسة. والعين تتحسس. يلامس النظر الأشياء لمسا، متحسسا ملمسها والمليس. يدعوك الفنان إلى قصر الحمراء بغرناطة الأندلس لتلمس بعينك بالعين المقرنصات في زوايا البناء ناتئة مكورة متراكبة مثل انصاف خلايا نحل، قبل ان يطلب منك أن تخفض نظرك إلى أسفل لتتلمس بالعين سطح الجدار وقد اخشوشن بالنقش والرقش والمنمنمة. وليست الواقعية مقصد الفنان. فالحسي في التصوير ليس هو الحسي في الإنسان او الطبيعة. والحسي في الصورة الفوتوغرافية ليس هو الحسي في الصورة الفنية. يريك اللباد صورة بطة من روائع الصور التي تزين مخطوطة كتاب «الحيوان» للجاحظ. ويحذرك على مذهب مارسيل دوشان و السورياليين قائلا: «هذه ليست بطة»! او هو يعرض عليك صورة تمثال حمار من نحت آدم حنين مركوز في حقل وإلى جانبه حمار طبيعي يرعى العشب، ليحذرك: إياك ان تخلط بين حمار الفن وحمار الحقل. والحسي هو التخييل وهو الشعر. وحسية العين قابلة لأن تجمّع عدة حواس في حاسة واحدة.

بالنظري يكتشف فناننا شميم الاشياء. يستطيع ان يشمّ الروائح في الصور والبطاقات البريدية التي يكن يجمعها بشغف. هذا أريج ورد يفوح من دكان عطارة مغربي في بطاقة بريدية. وهذا شميم لوز أخضر مخلوط بروائح خشب قديم مبلل بالماء في صورة مدّنة. وهذه رائحة اليانسون تنتضوع من منظر واجهة مدينة ساحلية. رحل هذا «الشيخشاب» قبل الأوان. هذه الأسطر غصة ثلاثة عقود وأزود من صداقة ما شابها الا تقطع السفر وتباعد المسافات. بدأت عندما انتخب محيي الدين زوجتي نوال لتزيين كتب الأطفال في «دار الفتى العربي» وقطعها الموت وابتي جنى تنهيأ لرحلة تدريب إلى مرسمه في القاهرة. يحضرني طيف محيي الدين اللباد الآن كما كان يحضر في حياته طفلا مشاغبا يسكن قامة جبارة تخف حتى تكاد تمحي لفائض الدماثة ورقة الحساسية وشفيف العشق. الأمر الوحيد الثقيل في محيي الدين اللباد هو الارث الذي يلقيه علينا وعلى جميع من يهتم بالعين العاشقة: ان نواصل جهاده الأكبر من أجل نشر ثقافة العين وتنمية ثقافة العين

أثقلت في حفل تكريم الفنان محيي الدين اللباد، معرض الكتاب العربي، بيروت، ١٢ كانون الأول ٢٠١٠.

بورتريه لمحيي الدين اللباد

محـمود الـوردانـي

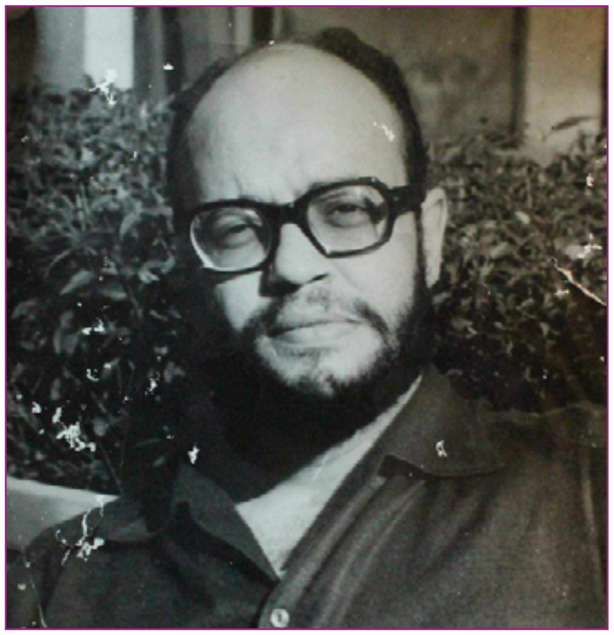

كان الفنان التشكيلي الكبير الراحل محيي الدين اللباد (٢٥ مارس/ آذار ١٩٤٠ – ٤ سبتمبر/ أيلول ٢٠١٠) والذي مرّت ذكر ميلاده منذ أيام، يفضّل دائمًا أن يقال عنه إنه "صانع كتب".. أسطى في الاعتبار الأول، ولذلك أحدث نقلة كيفية في صناعة الكتاب، ولم تقتصر تلك النظرة على الغلاف وحده، بل على ماهية الكتاب والنظرة إليه والتعامل معه.

أسعدني زماني وشرفت بعلاقة امتدت لأكثر من ثلاثة عقود باللباد، وتعلمت من كتبه مثل كشكول الرسام، وسلسلة ألبوماته نظر، وتي شيرت، و٣٠ سؤالًا، و١٠٠ رسم وأكثر، وحكاية الكتاب، ولغة بدون كلمات، ويوميات المجاورة.. وغيرها من الأعمال الباقية للكبار والصغار.

السطور التالية استعادة لفنان كبير، صمَّم العشرات من كتب الأطفال، وعشرات أخرى من كتب الكبار، وصمَّم أكثر من مجلة للأطفال، وصحف حائط مطبوعة للمخيمات الفلسطينية، فضلًا عن وضعه للماكيت الرئيسي لعدد من الصحف والمجلات، ومئات من رسوم الكاريكاتير السياسي اللاذع.

وربما كان من أهم إسهاماته المشاركة في تأسيس دار الفتى العربي، وهي أول دار عربية متخصصة في كتب الأطفال عام ١٩٧٤، وبعد عامين أسس الورشة التجريبية العربية لكتب الأطفال، وفيما بعد صمم المشروع الأساسي وأخرج العدد رقم صفر من مجلة العربي الصغير، وتولى الإشراف الفني لمشروع إصدارات الأطفال عن دائرة الثقافة لمنظمة التحرير الفلسطينية.

هذه الوقائع تشير إلى دور تأسيسي ورياديّ لعبه اللبّاد في إنجاز مشروع كتاب للطفل العربي، بحيث يمكن الحديث عن نقلة كيفية أخرى حققها فيما يتعلق بكتاب عربي لطفل عربي، ليس فقط من زاوية المادة التي يضمها بين صفحاته، بل أيضًا من زاوية شكل الكتاب أو المجلة: الغلاف والصفحات الداخلية والقطع والتوضيب على النحو الذي سوف أحاول تفصيله فيما بعد.

من جانب آخر، وُلد اللباد في حي القلعة، وتفتحت عيناه على عمارة الحي الإسلامية العتيقة ومساجد مثل السلطان حسن والرفاعي وقلعة صلاح الدين وشارع محمد علي، بكل ما يضمُّه من مساجد وأسبلة ومبانٍ، وعلى مبعدة عدة خطوات تقع منطقة طولون بكل ما تزخر به من بيوت أثرية وجوامع.

عرف طريقه بسرعة إلى الصحف والمجلات، ونشر رسومه في عدد كبير منها، وعندما حصل على الثانوية العامة، كان من المفترض أن يلتحق بكلية طب الأسنان، لكنه رفضها والتحق بكلية الفنون الجميلة، على الرغم من اعتراض العائلة ورفضها لهذا التصرف الذي بدا جنونيًا، فكيف يفلت فرصة أن يكون طبيبًا محترمًا، ويدخل كلية تعلّم طلابها الرسم؟.. كانت كارثة عائلية، حتى إن والده عندما يزوره الأقرباء، كان يتحدث عن دخول ابنه كلية الفنون الجميلة منكسرًا وكأن مرضًا ألم به.

قال لي الراحل الكبير إن هناك كتبًا أثارت حياته مثل كتاب كامل الكيلاني عام ١٩٤٧ تقريبًا، ورسوم بيكار التي فتحت له طاقة حقيقية، وخصوصًا رسومه لكتاب الأيام لطه حسين الذي كان علامة فارقة في فن الكتاب، فقد عكف بيكار عليه ورسم الغلاف والرسوم الداخلية أبيض وأسود.

الانتقال الأكبر حدث عندما صدرت مجلة سندباد، وكان عمره عندما صدرت ١١ سنة، وكان بيكار يرسم ١٦ صفحة نصفها أبيض وأسود ونصفها الآخر بالألوان. من هذه المجلة تحديدًا عرف أنه ليس مصريًا فقط، بل وعربيًا أيضًا من خلال رسوم بيكار الذي كان عائدًا من رحلة إلى المغرب.

وقبل دخوله كلية الفنون الجميلة بعام رسم أول صفحة كاريكاتور في مجلة التحرير عام ١٩٥٦. وأثناء دراسته التصوير في الكلية، بين عامي ١٩٥٧ و١٩٦٢ أصدر أول كتاب من تأليفه بعنوان ملكة الجزر عن دار المعارف، وفي الوقت ذاته التحق بالعمل رسامًا بمجلة سندباد، وفي العام التالي بدأت مسيرته كرسام كاريكاتور بمجلة صباح الخير إبان العصر الذهبي لها.

وهكذا انخرط في العمل في أكثر من اتجاه منذ شارك في تأسيس مجلة كروان للأطفال مديرًا لتحريرها عام ١٩٦٣، ثم مشرفًا فنيًا ومديرًا لتحرير مجلة سمير بعد توقف كروان لأسباب مالية. وفي عام ١٩٧٤ خاض تجربة دار الفتى العربي، وبعد ذلك بعامين تجربة الورشة التجريبية لكتب الأطفال كما سبق الإشارة.

يكمن التغيير الحاسم الذي استحدثه اللباد في هذا المجال، في رفضه مثلًا لاستلهام الشخصيات الغربية المعروفة مثل سوبرمان وميكي ماوس، وارتجل بدلًا منها شخصيات عربية. وفي كتيبه الملون تي شيرت قدّم ٢٥ اقتراحًا للمطبوعات على التي شيرت مستلهمة من الواقع سواء التراث القديم أو الواقع السياسي والثقافي المعاصر، بدلًا من الرسومات المستوردة.

كما كان له الفضل في اجتذاب كبار الكُتاب للكتابة للطفل أثناء وجوده في دار الفتى العربي، وحقق من خلال ذلك طفرة على صعيد الشكل والمضمون والفئات العمرية. لنقرأ مثلًا تلك الحكاية البالغة القصر التي كتبها الكاتب السوري الكبير زكريا تامر ورسمها اللباد ونالت عدة جوائز عالمية. الحكاية هي "البيت"، ولا تتجاوز خمسين كلمة وتعد من أعذب ما كُتب عن فلسطين والفلسطيني منذ بدأت القضية. تقول كلماتها:

"الدجاجة لها بيت. بيت الدجاجة اسمه القن. الأرنب له بيت. بيت الأرنب يقال له الجحر. الحصان له بيت. بيت الحصان يسمى الاسطبل. السمكة لها بيت. بيت السمكة في البحر والأنهار. القط يحب التجول في الشارع لكنه يملك بيتًا يحبه ويفخر به. العصفور له بيت. بيت العصفور يدعى العش. كل إنسان له بيت. البيت هو المكان الذي يمنح الإنسان الطمأنينة والسعادة. الفلسطيني لا بيت له. والخيام التي يحيا فيها ليست بيوت الفلسطيني. أين بيت الفلسطيني؟».

أكرر أنّ ما قدّمه اللباد للطفل من إبداع بصري ووجداني وعقلي سيظل واحدًا من الإنجازات الكبرى. ويمكن هنا الإشارة إلى كتابه الفاتن كشكول الرسام، الذي حصد عدة جوائز عالمية وتُرجم إلى العديد من اللغات. باختصار قدّم في الكشكول سيرته الذاتية للطفل بلا حذلقة أو ادعاء، والأهم أنه لم يلجأ إلى التبسيط والتسطيح باعتباره يكتب للطفل الذي لا يفهم مثلنا نحن الكبار.

كتب ورسم عملًا فاتنًا للصغار والكبار معًا، يضم حكايات قصيرة سريعة تبدو متناثرة، لكنها في الحقيقة متتالية موسيقية، مكتوبة بخط يد اللباد وليست آلية، بدءًا من الترويسة واسم دار النشر وحتى السطر الأخير، لتحقيق الألفة وعقد أواصر الود مع الطفل، فهو لا يلجأ مثلًا للمواعظ والوصايا والتوجيهات، بل يتحدث مع الطفل حول أسراره الشخصية والتذكارات التي يحتفظ بها منذ طفولته، وينشر صورًا فوتوغرافية لها مثل طابع بريد قديم أو تذكرة ترام أو صورة عائلية قديمة.

كما يكشف لصديقه القارئ الطفل عن أحلامه، ومن بينها حلمه بأن يصبح سائق ترام رسم نفسه ضخمًا وسائقًا لترام ضخم، وهو الترام الذي كان يراه في طفولته في حي القلعة الذي كان يسكنه.

وكما كتب "كان سائق الترام عندي أعظم وأهم رجل في العالم لأنه يقود هذا الوحش العملاق المهيب".. وظل يتمنى أن يصبح سائق ترام عندما يكبر، إلا أنه لم يتمكّن من ذلك و.. "تعلمتُ الرسم وأصبحت مجرد رسام، ووجدت، والحمد لله، إن هذا العمل يتيح لي فرصة مدهشة، وهي أن أستطيع أن أرسم سائق ترام كما تمنيت تمامًا».

هكذا يمكن تحقيق الأحلام دائمًا، حتى تلك التي تبدو بعيدة المنال. ليست هناك وصفة جاهزة لتحقيق الأحلام سوى الصدق مع النفس، والابتعاد عن محاكاة الواقع كما هو، وحسبما كتب في حكاية تالية عندما تعلم منذ طفولته حقيقة مهمة أنه «يجب أن ينسى رسوم الآخرين» وأن يرسم القط الذي يعرفه ويراه في الشارع الذي يسكن فيه.

ثمة تفاصيل وتفاصيل في المتتالية الموسيقية الفاتنة كشكول الرسام. فعندما كان طالبًا في كلية الفنون الجميلة كان هناك لون يستخدم لتلوين البشرة مستورد من أوروبا وأمريكا، وهو بالطبع لون بشرتهم وليس لوننا، لذلك توقف عن استعماله.. هكذا يتحدث اللباد مع الطفل بلا مواعظ وخطب عصماء، ويكشف عن حقائق بسيطة تغيب عن الذهن غالبًا، منها أننا نقرأ ونكتب من اليمين لليسار، بينما يكتب الغرب ويقرأ من اليسار لليمين، لذلك تشكّلت عيوننا بحيث يكون "مدخل الفرجة" على حد تعبيره من اليمين إلى اليسار، وهو ما يستلزم انقلابًا كاملًا للطريقة التي تعودت عيوننا عليها.

أما الجانب الثاني في إنجازه، والذي يفخر به دائمًا، فهو دوره كـ"صانع كتب".. أسطى.. معلم في ورشة. أبادر إلى القول أنه رسم أغلفة لعشرات وعشرات الكتب والمجلات للصغار والكبار، وصمَّم الماكيت الرئيس لعدد من المجلات والصحف وسلاسل الكتب، إلا أن كل ما قام به، لم يتعارض مع قناعاته المبدأية وأفكاره ومواقفه، لذلك اشترط دائمًا أن يقرأ المادة جيدًا قبل أن يبدأ عمله.

ولعلي لا أكون مبالغًا عندما أقول إن تصميم الكتاب وإخراجه قبل اللباد، يختلف تمامًا بعد الثورة التي أشعل نارها الراحل الكبير، فقد استعاد بقوة واستلهم الكثير من جماليات الخط العربي، مما يمكن تلمسه بسهولة في أعماله، كما عكف على قراءة المخطوطات العربية التراثية واستفاد من منجزها، مثل ضرورة مساحات البياض لراحة العين، ورفض الجمع الإليكتروني الذي يجعل هامش اليسار منتظمًا، واستبدله بما يريح العين، وهو عدم انتظام الهامش.

إن تصميم كتبه يعد درسًا في فن التوضيب، سواء فيما يتعلق بالمكان الذي يختاره لوضع اللوحة على الصفحة، أو العلاقة بين الكتلة والفراغ، وبداية الصفحة ونهايتها، والفواصل البيضاء بين كتل السواد.. في هذا السياق كتب اللباد:

"عندما تزور بيتًا من بيوت الكرام يفتح أهله الباب مرحبين بك: مرحبًا .. أهلًا وسهلًا.. شرّفتنا بالزيارة.. وزمان كانت الكتب أيضًا ترحب بقرائها وكانت أول صفحة يراها قارئ الكتاب تقول له: مرحبًا .. أهلا وسهلًا.. شرفتنا بالقراءة.. نظرة عزيزة.. الكتاب نوّر». وكانت تلك الصفحة كما يضيف «مزوّقة ومزخرفة بعناية وكرم وذوق سليم وظُرف حلو، مثل التحية والترحيب والحلوى والمرطبات والشاي والقهوة التي يقدمها أهل البيت للزائر». لم يقتصر ذلك التقليد على المصاحف الشريفة والكتب الدينية وحدها، وإنما في أنواع الكتب الأخرى أيضًا.. ويضيف أيضًا «لماذا نسينا هذه التقاليد الجميلة؟ ولماذا لانعود ونزخرف ونزوّق الصفحات الأولى من دفاترنا وكتبنا ورسائلنا لأصحابنا».

ويتساءل اللباد «هل كانت كتبنا العربية زمان أجمل؟» ويجيب «يبدو أن هذا صحيحًا، فربما كان صناع الكتب زمان أكثر رقة وتهذيبًا، ويعلنون حسابًا للقارئ. كيف؟ لم يكن هؤلاء يملأون صفحة الكتاب كلها بكلمات النص، بل كانوا يكتبون النص في ثلاثة أرباع الصفحة تقريبًا ويتركون الباقي بياضًا. لماذا؟ كانوا يتركون هذا البياض بطول الصفحة ليكتب القارئ عليه ما يشاء تعليقًا على النص مثلًا».

وإذا كان اللباد ركّز على الأصالة والتراث ورفض التبعية والاستفادة من جماليات الخط العربي، إلا أنه لم يُغفل الفن الغربي أو يتجاهله سواء بالنقد أو الإعجاب، كما لفت النظر إلى فنون الثقافات الأخرى في الشرق الأقصى وأمريكا اللاتينية. وفي ألبومه الثالث من سلسلة نظر مثلًا خصص جانبًا كبيرًا من صفحاته لفنون الغرب، فكتب عن الدور الذي لعبته مجلة بانش البريطانية الكاريكاتورية، وتابع ماقامت به مجلة كروكوديل الروسية الكاريكاتورية، هذا إلى جانب تناوله لأعمال الكثيرين من فناني الكاريكاتور الكبار.

بقي أن أشير إلى جانب آخر وملمح لا يقل أهمية من ملامح الراحل الكبير، وهو تعليقاته وكتاباته النثرية التي وجدت مكانًا لها في سلسلته الشهيرة نظر، واستوحى عنوانها من بيت في قصيدة للشاعر بشارة الخوري "إن عشقنا فعذرنا/ أن في وجهنا نظر"، تعد ألبومات حية تتضمن ماكان ينشره أسبوعيًا في مجلة صباح الخير، حول الأعمال والنشاطات التي تتوجه للعين على مدى أربعة كتب متميزة ومختلفة سواء فيما يتعلق بالقطع أو التوضيب أو اللمسات البصرية، هذا بالطبع فضلًا عن كتبه الأخرى السابق الإشارة إليها مثل تي شيرت، وملاحظات، و٣٠ سؤالًا، و١٠٠ رسم وأكثر، ولغة بدون كلمات.

تلك هي وجوه فناننا الكبير وإضافاته وإنجازاته الباهرة، وهي إنجازات، كما يرى القارئ، ذات طابع تأسيسي ورياديّ لن يمحوه الزمن.

عن موقع المنصة

15 عامًا على رحيله:

الأسطى محيي الدين اللبَّاد يقدِّم نفسه إلى القراء

محيي الدين اللبَّاد (١٩٤٠ – ٢٠١٠) واحد من أبرز صُنَّاع هوية الكُتب البصريّة في العالم العربيّ. عمل بعد تخرجه – في كلية الفنون الجميلة – في الصحافة المطبوعة داخل مصر وخارجها. نال العديد من الجوائز المرموقة وأصدر كتبًا عديدة تمزج بين المعلومة وخفة الظل والرسم.

كان أحد الذين شاركوا في تأسيس "دار الفتى العربي" عام ١٩٧٤، وبات أسلوبه في صناعة الكتب وتصميم الأغلفة والرسم، بمثابة بصمة بصرية. كتبت حول تجربته الثريّة العديد من المقالات والأبحاث، لكنّنا اخترنا هُنا أن نعيد نشر حوار كاشف؛ أجراه معه المؤرخ صلاح عيسى ونُشر على صفحات مجلة "أدب ونقد" (العدد ٥٢، تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٨٩). وفيه يجيب اللبَّاد على مجموعة من الأسئلة التي أظهرت جوانب عدة من شخصيته ومسيرته المهنية، وفلسفته الفنية.

قبل أن نبدأ الحوار نريد أن نعرف منك متى ولدت؟

ولدت عام ١٩٤٠ وانتهيت من دراسة كلية الفنون الجميلة قسم التصوير عام١٩٦٢ وبدأت الرسم في المرحلة الثانوية في جرائد التحرير والهدف وغيرها من المجلات. وكنت في هذه الفترة أكتب كهاوٍ في مجلة "سندباد".

وفي سن السابعة عشر بدأت محترفًا مع «سندباد» وصممت كتبًا للأطفال وأنا في التاسعة عشرة عن دار المعارف مثل سلسلة «صندوق الدنيا».

ما السبب الذي دفعك إلى هذا الاتجاه؟

السبب الذي دفعني إلى هذا الاتجاه أنني كنت أساسًا قارئًا لهذه المجلات مثل "بابا شارو" و"بابا صادق" وغيرها من المجلات التي أتذكرها بدقة. أتذكرها ذهنيًا وبصريًا، لأنها كانت صُدفة جميلة. وهذا ما اعتمدت عليه وأسست عليه هذا الاتجاه، وهناك سببان آخران: أنه لم يكن هُناك في هذه المجلات رسام مصري، وكان العمل متخلفًا، وحين اشتغلت بهذه المهنة ودرست اكتشفت جانبًا لم يكن معروفًا في هذا الوقت، وهو شكل الكتابة والتناول بشكل عام والخلط بين الكاتب والرسام، وكان هذا اكتشافًا بولنديًا. ثم اكتشفت بعد ذلك أن شكل العمل كله وحدة واحدة، وهو ما يُسمى "تناول الشيء بصريًا" ولم يكن أحدٌ من جيلنا مهتمًا بهذا أبدًا.

أريد أن أقف عند صحافة الأطفال - في الفترة التي تكوَّن فيها جيلك -هل ترى أن سندباد أول محاولة لما يمكن أن نسميه صحافة أطفال عربية؟

"سندباد" مع كونها محافظة ولكنها بالقطع كانت عربية. وكان بالنسبة لي هناك عالمان من هذا الوقت قد تأثرت بهمها. عامل عربي فتذكر المجلة مثلًا شيئًا عن فاس وشيئًا عن المغرب وعن دمشق وكانت المجلة تغطي كل هذا وتوزع في كل هذه الدول.

العامل الثاني أن أبي كان شيخًا وحين أتى إلى القاهرة تربى في "المغربلة" فأثر في شكل الناس والعائلات في مناسباتهم المختلفة، فهذان عاملان كنت اكتشفهما من خلال المجلة – فرغم محافظتها كانت أول مجلة عربية وساهمت في خلق وحدة عربية ما. وكان فيها قدر من الجدية وقدر من الاهتمام باللغة فكان بها سعيد العريان وأمين دويدار ومحمود زهران، فكانت أول مجلة تهتم باللغة العربية كلغة وأول مجلة يمسكها أديب، مع الإشارة أن مجلة "بابا شارو" التي خرجت قبل "سندباد" كان يكتبها بيرم التونسي ولكنها استمرت عدة أعداد وتوقفت وأيضًا ظهرت مجلات قبل "سندباد" مثل "الكتكوت" و"على بابا".

وحين طرحت «سندباد» كانت حدثًا مازال يذكره كل من عاصر المجلة واستمرت من كانون الثاني/يناير ١٩٥٢ حتى ١٩٧٢.

كان أحد الذين شاركوا في تأسيس "دار الفتى العربي" عام ١٩٧٤، وبات أسلوبه في صناعة الكتب وتصميم الأغلفة والرسم، بمثابة بصمة بصرية

هل تعتقد أن تقديم المغامرة - بالنسبة إلى الطفل - مسألة احتياج؟

طبعا، ففيها تحد للواقع وتخيل لإمكانية تجاوز الإنسان لنفسه من خلال طاقة فعلية كامنة تحتاج لاستنفار، أما تقديمها كمغامرة خرافية فهي توقع الطفل في تفاهات تؤثر عليه سلبيًا. من الواضح أن هناك مأزقًا في إصدارات الأطفال، بشكل عام نحن في حاجة إلى نظرة شاملة.

كيف يمكن أن نخرج من هذا المأزق بمعنى: هل نحن في حاجة إلى صياغة رؤية قومية لإصدارات الأطفال، وهل نحن بالتالي في حاجة إلى نوع من التنسيق أو التعاون العربي بين وزارات الثقافة والإعلام والمؤسسات الخاصة العربية في مجال الأطفال من أجل أن تتكامل كل هذه الجهود وتصب في عمل مؤثر يتخطى الحدود القطرية؟

عمليًا ومن بداية دار المعارف لا يوجد نشر محلي إقليمي للأطفال، ولم يكن بالإمكان أن يحدث هذا. وأصبحنا حتى نتيجة ظروف الطباعة وتقنياتها الجديدة لا نستطيع أن نصدر كتابًا لبلد واحد.

زكريا تامر بدأ الكتابة للأطفال كلعبة "قلبت بجد". واستعار فورم كتب الأطفال كشكل فني لتمرير أفكار وهموم الكبار التي لا يمكن تناولها بصراحة

من يستلفت نظرك من كتاب الأطفال الآن؟ زكريا تامر مثلًا؟

زكريا تامر بدأ الكتابة للأطفال كلعبة "قلبت بجد". واستعار فورم كتب الأطفال كشكل فني لتمرير أفكار وهموم الكبار التي لا يمكن تناولها بصراحة، وبدأت بشكل كان ينشره كمسلسل في صحيفة يومية، فاعتبر كاتب أطفال.

فكل قصة من قصصه بداخلها رمز يعبر عن همّ من هموم الكبار وبالتحديد الهم الخاص بحرية الإنسان والاستغلال والوطن – إلخ بمعنى أنه رمز يجد معادلًا له قد يكون قطة، كلب. وخلق زكريا كثيرًا من المقلدين له في هذا الاتجاه.

وهل ترى أن هذا الشكل ليس بالضروري؟

أرى أنه شكل خاطئ. لأنه من الممكن أن ينقل رسالة أخرى. لأن الرمز عند الإنسان البالغ معتمد على رصيد من الأشياء التي تحدث إسقاطًا على وضع معين وموضوعات معينة وعلى فهم هذا الواقع. وبهذه الطريقة تصل الرسالة. أما بالنسبة للطفل الذي لا يمتلك مثل هذا الفهم أو الخبرة فلا تصل مثل هذه الرسالة إليه، أو تكون شيئًا سخيفًا، وزكريا تامر أوجد مدرسة رمزية وأصبحت تعجب الناس والنقاد المفسرين الذين يصنفون الأعمال على أساس أن هذا كتاب تقدمي أو وطني. إلخ.

وهناك مقال رائع لكاتبا سرور تتساءل فيه: لماذا نسقط كل همومنا وإحباطاتنا وهمنا السياسي والوطني في ذهن الأطفال؟ وهذه نقطة هامة بصرف النظر عن زكريا أو غيره.

أريد أن أثير موضوع الأصالة في الكتابة للأطفال؟

الأصالة والمعاصرة واحد. فعندنا سمات يجب تمثلها، فمثلًا نحن نبدأ القراءة والرؤية من اليمين للشمال، فمدخل رسوماتنا أن الشمال يمثل أهمية قصوى لأننا نبدأ باليمين بداية سريعة ونستقر بعد ذلك على الشمال، فلتكن هذه أول خصوصية لنا، وهناك قيمنا الروحية ووجداننا الخاص. كل هذه سمات أساسية. فمن ناحية يجب علينا أن نعرّف الأجيال الجديدة بتراثنا في محاولة لاستيعابه جيدًا. ومن ناحية أخرى هناك العلم والتكنيك وأحدث النظريات العلمية التي يجب علينا هضمها، فمن الخطأ أن نعيد أشكال الماضي وأن نظل أسرى له، ومن الخطأ أيضا النقل عن الأجنبي بلا هوية.

عن مجلة أدب ونقد

هل تجربة مجلة "كروان" - في هذا الوقت - خرجت لتحل محل سندباد؟

لا. ضمن الأسباب التي أدت إلى القضاء على "سندباد" ظهور مجلة "سمير" في عام ١٩٥٦، ومجلة "ميكي" في عام ١٩٥٩ تقريبًا. وكانتا امتدادًا لنوع من الثقافة التابع للثقافة الغربية والتحول الاجتماعي، فاكتسحا "سندباد" بما فيها من صحافة على عكس "سندباد" التي كانت أساسًا مجلة دار نشر. وبعدما أغلقت "سندباد" استمرت "سمير" وكانت مجلة مترجمة، وفي أحسن الأحوال كانت "تمصر". ثم بدأت هجمة المجلات اللبنانية. عندئذ فكرنا في مجلة "كروان" كرد على هذه النوعية من المجلات في مصر. ولم يكن من الوارد أن تقوم بدور عربي مثل الدور الذي قامت به "سندباد". ومن الممكن أن تكوننا في هذه الفترة لم يكن مستعدًا لأداء هذا الدور. فكان شعارها مجلة مصرية مائة في المائة، ولم يكن فيها أي مادة مترجمة وفي هذه الأيام خرجت إشاعة طريفة تقول إن عبد الناصر "طعما" لأولاده مثل "نادي الشمس" الذي قيل إنه بناه لأولاده. ولم يكن هذا بالطبع صحيحًا.

هل أنتم الذين قدمتم فكرة هذه المجلة؟

نعم. واقترحنا أن يكون نعمان عاشور رئيسًا للتحرير. وكان أغلبها شكليًا وبصريًا. وبالطبع كانت بها عيوب قطباعتها فقيرة ماعدا الغلاف. وكانت هناك صراعات في إدارة التحرير أدت إلى إغلاق المجلة قبل أن تسلم إلى حلمي سلام.

هل مجلة "كروان" لم تكن رابحة تجاريًا؟

لا أعتقد أن هناك مجلة لها هذا الطابع تحقق ربحًا تجاريًا. ما تقييمك لدور مجلة "كروان" على مستوى التوجه، وعلى مستوى تقديم جيل جديد من الكتاب؟

مجلة كروان فتحت الباب لجيلنا. ولفتت الأنظار إلى أن واقعنا الذي يإمكانه أن يخرج أعمالًا تُقدم للأطفال، بعدما سيطرت الأعمال الغربية مثل "والت ديزني" وغيرها. بداية لفتت النظر إلى أن الامكانيات المحلية من الممكن أن تقدم شيئًا، وأن الناس بإمكانهم أن يفعلوا شيئًا من الناحية الحرفية، ولأول مرة من مجلة يكتبه شعر، فكتب فيها سيد حجاب وصلاح جاهين وعبد الرحيم منصور وغيرهم. ولكي لانتهم بأننا ضد كل ما هو أجنبي كنا أحيانًا نترجم. فترجمنا قصصًا لكتاب كبار مثل "أوسكار وايلد" وغيره. وكنا نرسم هذه القصص. وفي هذه المجلة حاولنا أن نشرح التاريخ بشكل علمي. وكان تبويب المجلة دائمًا خاضعًا لوجهة النظر.

هل في اعتقادك أن هذه المجلة أثرت على توجيه المجلات الأخرى؟

أعتقد هذا. حتى أن المسئولين في "سمير وميكي" استدعوني لأشرف على مجلة "سمير" ولكنني لم أذهب لأنني وجدت أن هذه المسألة لن "تنفع". وبعد فترة تم هذا التغيير؛ لأن هذا الاتجاه شكل موقفًا ضاغطًا وكان مطلوبًا: سياسيًا وثقافيًا حتى أن التليفزيون تأثر بهذا الاتجاه وعدّل من برامجه ليناسب هذا التوجه.

نشرت لك بعض "البوسترات" التي تسخر فيها من بعض الشخصيات الأجنبية كسوبرمان وغيرها من الشخصيات. ما هي الخطورة التي تستشعرها عمومًا على تكوين الطفل وشخصيته والتي دفعتك إلى التحذير والسخرية منها؟

مجموعة البوسترات هذه توضح بتحليل تاريخي وسياسي تاريخ هذه الشخصيات: كيف نشأت؟ ومتى؟ وما معنى هذا؟ وما ارتباط هذه الشخصيات بفكرة الاستعمار مثل شخصية "طرزان" وما علاقة شخصية مثل "سوبرمان" بأمريكا مثلًا. وهذه الكتب ليست خطيرة في مجتمعاتنا فقط، ولكنها أيضا خطيرة في مناطقها الأصلية وتحارب على أساس أنها تصدر مجموعة من القيم مثل شخصية "السوبر" المتميزة عن بقية البشر، وهذا يؤدي إلى أن كل المشاكل التي تعترضنا لا يحلها إلا هذا السوبر.

وهذا توجه خطير يجب التحذير منه. وحين نمسك تسلسل هذه الشخصيات نتضح لنا أمور هامة، فطرزان مثلًا ظهرت تقريبا سنة ١٩١٨ أو ١٩٢١ تقريبًا، أي في الفترة التي استعمر فيها الأوربيون أفريقيا، وكان طرزان ابنًا لأحد اللوردات وتاه في غابات أفريقيا، فتجد طرزان ملكًا للغابة، ويحل كل مشاكل الأفريقيين، ويحميهم من الحيوانات المتوحشة ويؤدب الأشرار، وغيرها من المشكلات التي تواجههم. وتصل الأمور إلى نهب الثروات والكنوز الأثرية التي كانت من حق المكتشف الذي يعرف قيمتها ويقدرها!!

وكاد محيي الدين اللباد أن يبكى

منير مطاوع

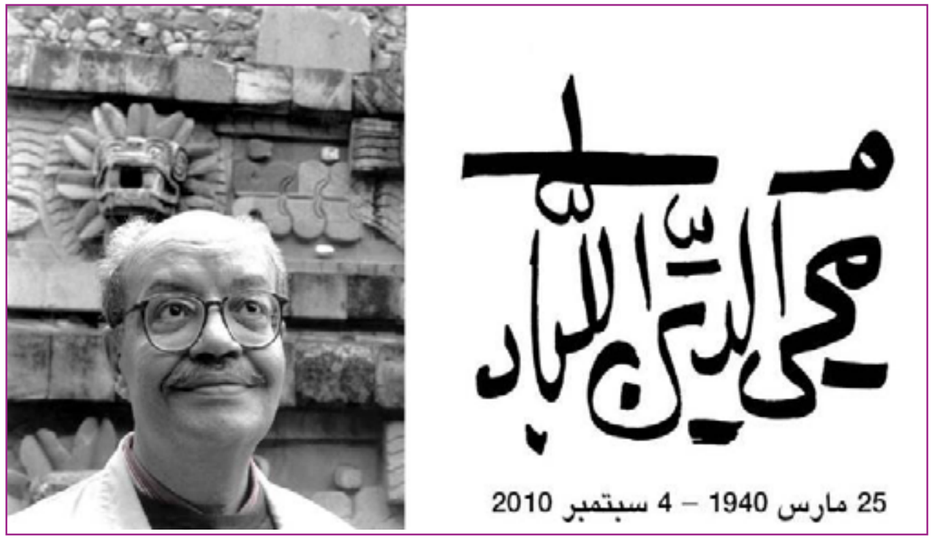

أكتب هذه الحكايات والذكريات من الذاكرة واعتمادا على بعض ما أمكن جمعه من مواد وصور، وأترك لنفسى حرية التجوّل فى دوائر الذكرى دون تخطيط مسبق حتى أشعر براحة ومتعة لا تحققها عملية التوثيق الأرشيفية ولا يتحقق معها للقارئ ذلك الشعور بالمتعة والمؤانسة.

ومع أن الحكايات والومضات تتزاحم فى رأسى، ومع أن بعض الأسماء تختفى من شريط الذاكرة بفعل التقادم، وتتشابك الأحداث والوقائع والشخصيات والمشاعر، فإن ما يهمنى أكثر هو جوهر كل حكاية أو ومضة أو واقعة.

عندى هنا حكاية أليمة.. للأسف!

سأروى تفاصيلها بعد أن أتحدّث عن بداية علاقتى بها.. وهى ولعى بفن تصميم أغلفة الكتب ومحتوياتها، زمان.. كان كل كتاب يحمل على ظهر الغلاف بيانات عن المؤلف.. وعن مصمم الكتاب.

كان ذلك بعد أن بدأ رواد تصميم الكتب وأغلفتها يحوّلون ابتكاراتهم هذه، إلى مهنة جديدة لم تكن موجودة قبلهم، حيث بلمساتهم الفنية الذكية يتحول النص الذى يضمه الكتاب إلى عمل فنى جذاب يشجع على القراءة.

وتصميم الغلاف أصبح مع الوقت والتطور من العناصر المهمة فى صناعة النشر، وكذلك التصميم الداخلى، واشتهر عدد من المبدعين الرواد فى هذا المجال وأولهم الفنان حسين بيكار، رئيس قسم التصوير الزيتى فى كلية الفنون الجميلة الذى صمم كتاب «الأيام» بطلب من مؤلفه الدكتور طه حسين سنة ١٩٤٤، ويعتبر هذا الكتاب بداية ميلاد فن تصميم الكتب.

وبيكار هو مصمم ورسام مجلة الأطفال «سندباد»، وكتب دار المعارف، ورسام أغلفة «صباح الخير».

أما عبدالسلام الشريف، أستاذى فى كلية الفنون الجميلة، فهو أول من حوّل صناعة تصميم الجريدة والمجلة والكتاب إلى أمور تعتمد على الفن فى التصميم والابتكار، ولم يكن هذا قائمًا من قبل.. كانت المسألة عشوائية ارتجالية تسير على هوى صاحب الجريدة أو محررها، بلا أى اعتماد على قواعد الفن.

واشتهر أيضًا أستاذى فى «صباح الخير» حسن فؤاد، كواحد من أبرع من جددوا فى هذا الفن الحديث.. كما برع آخرون مثل زميلى وصديقى فنان الكاريكاتير محيى اللباد، الذى أصبح يمثل مدرسة حديثة متميزة فى صناعة الكتاب وتصميم الأغلفة والتصميم الداخلى للكتب والمطبوعات الأخرى.

ومن المهم أن أشير هنا إلى ابنه أحمد اللباد، الذى أصبح واحدًا من ألمع وأبرز فنانى الجيل الجديد من مصممى الكتب، فقد ورث حب هذا الفن من معايشته لإبداع والده.

ومن أبرز مصممى الكتب والأغلفة فنان متميز هو حلمى التونسى.. الذى أعطاها ملامح مصرية مستمدة من أجواء الفنون الشعبية.. وألف ليلة وليلة.

وكان هناك عدلى فهيم الذى صمم كتبًا كثيرة منها روايات فتحى غانم.

وبالمناسبة فقد كان الأستاذ عبدالسلام الشريف يعلّمنا فن تصميم الكتب والصحف والمجلات خلال دراستنا فى قسم هندسة الديكور.

ومع ذلك فإننى لم أضع تصميم أول كتاب لى، إذ أننى أعيش فى لندن والكتاب يطبع ويصدر فى القاهرة، وقد تولى تصميمه وإخراجه صديقى وزميلى الفنان محمد حجى، وشاركت فى ذلك بفكرة بسيطة للغلاف طوّرها حجى، والكتاب هو «سعاد حسنى: سندريلا تتكلم» الذى ضم حوارى الطويل لمدة تقارب الخمس سنوات مع جميلة الجميلات سعاد حسنى.. وقد أضاف فى الصفحات الأخيرة ملزمة عبارة عن ألبوم صور من حياتها وأعمالها، فأعطى الكتاب طابعًا حميميًا.

كتاب صغير.. بديع

تذكرت كل هذا وأنا أستعيد على شاشة الذاكرة حكاية عشتها فى أواخر سنة ١٩٧٤ خلال عملى فى «صباح الخير».. وتتعلق بكتاب صغير الحجم كبير القيمة.. أطلعنى على نسخة منه محيى اللباد بعد أن صممه وضمّنه رسومه الداخلية.

أعجبنى الكتاب وعرفت أن مؤلفه هو الكاتب السورى زكريا تامر.. أحد كبار مبدعى فن القصة القصيرة العربية.. يتحدث عن مأساة الإنسان الفلسطينى بطريقة ذكية ومبسطة وشديدة الإقناع بحق هذا الشعب فى أرضه ووطنه، الكتاب اسمه ببساطة «البيت».

وملخصه كالتالى: الفرخة لها بيت.. بيت الفرخة اسمه القن

الأرنب له بيت.. بيت الأرنب اسمه الجحر

الحصان له بيت.. بيت الحصان اسمه الاسطبل

السمكة لها بيت.. بيت السمكة هو النهر

العصفور له بيت.. بيت العصفور اسمه العش

القطة لها بيت تنتمى إليه

كل إنسان له بيت

أين بيت الفلسطينى؟.. بيت الفلسطينى فى فلسطين.. لكن عدو الفلسطينى اغتصبه وطرده منه!

أعجبتنى فكرة الكتاب وقرّرت أن أقدمه لقراء «صباح الخير» وقال محيى اللباد: كان من حظى أن رسمت هذا النص.. وأخرجته على شكل كتاب مصوّر صغير فى حجم مفكرة الجيب وأصدرته دار الفتى العربى.

وشاءت الظروف أن يدعى ياسر عرفات لحضور اجتماع الجمعية العامة للأمم المتحدة فى مقرها فى نيويورك فطبعت منظمة التحرير الفلسطينية بالاتفاق مع دار النشر ترجمات للكتاب باللغات الإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية ليوزع فى العالم وعلى وفود الدول المشاركة فى اجتماعات الأمم المتحدة. وتوالت بعد ذلك طبعات بعدد آخر من لغات العالم.

واستقبل الكتاب الصغير استقبالاً حسنًا، ونالت رسومه بعض الجوائز العربية والدولية.

تشويه الكتاب

فى سنة ١٩٨٥ أى بعد ١١ سنة، كنت قد هاجرت إلى لندن وتعرّفت على زكريا تامر وتزاملنا فى العمل فى أكثر من مجلة وجريدة.. وجاءت الصدمة وروى وقائعها محيى اللباد على صفحات «صباح الخير».

آخر طبعات الكتاب هى أغرب طبعاته على الإطلاق.. طبعة جديدة باللغة الإنجليزية صدرت فى لندن وكانت طبعة مزوّرة ومحرّفة.

صدر الكتاب المزور بنفس العنوان وبنفس الغلاف، وعليه اسم الكاتب الأصلى والرسام الأصلى ودار النشر الأصلية التى أصدرته منذ ١١عامًا، لكن النص جاء محرّفا بقصد، والأدهى والأمرّ أن الرسم نفسه ناله التزوير والتحريف ليعطى معنى ومقصدًا مختلفًا كل الاختلاف.

ولم يستأذن من أصدر هذه الطبعة لا الكاتب ولا الرسام ولا دار النشر.

ولابد أن يتبادر إلى ذهن القارئ الآن سؤال: ومن الذى نشر هذه الطبعة المزوّرة.. هل هى إسرائيل؟!

لا، إنها جامعة الدول العربية التى انتقلت من القاهرة إلى تونس ويقودها الشاذلى القليبى..جامعة الدول العربية – مكتب لندن..

روى محيى اللباد الواقعة وهو يكاد يبكى.. أو يصرخ!

أحب أن أنتهز هذه الفرصة لأحكى قليلا عن صديقى وزميلى الذى دخل «صباح الخير» قبلى بستتين وهو يكبرنى بخمس سنوات، وتخرج من كلية الفنون الجميلة قبلى، وعمل رسامًا للكاريكاتير من قبل أن يتخرج، وانضم بذلك إلى كتيبة أحدثت ثورة فى عالم هذا الفن المدهش، وكان له مثل من سبقوه منهم، أسلوبه الخاص وشخصيته فى رسومه وموضوعاته، وفى الوقت نفسه كان يرسم قصص الأطفال ويكتبها أحيانًا.

وبالمناسبة أحب أن أذكر معلومة لطيفة اطلعت عليها خلال تصفحى لعدد من مجلدات مجلة الأطفال «سندباد» التى ظهرت فى ٣ يناير سنة ١٩٥٢، وصممها أستاذه (فيما بعد) حسين بيكار الذى كان يرسم معظم قصصها.. ماذا وجدت فى هذه المجلدات التى أحتفظ بأول أربعة منها بين مقتنياتى؟

رسالة طريفة من تلميذ صغير اسمه محمد محيى الدين اللباد، يقول فيها إنه يحب الرسم ويحب «سندباد»! وفى هذه المجلدات أيضا عثرت على رسالة من قنا بعث بها تلميذ صغير اسمه عبدالرحمن الأبنودى يقول إنه من قراء المجلة، لكن الكبار يخافون عليه من أن يأخذه «سندباد» من دروسه! نعود إلى اللباد والتطور الذى أحدثه فى عالم تصميم الكتب حتى أصبحت له شهرة عالمية ونال جوائز كبرى فى فن صناعة وابتكار وتأليف ورسم الكتب وخاصة كتب الأطفال.

لكنه فاجأنا بعد فترة بأنه أيضا فنان وباحث وفيلسوف فى علم البصريات «الجرافيكس».. وأنجز عملًا بعد الأول من نوعه فى ثقافتنا العربية أطلق عليه كلمة واحدة هى «نظر»!

وراح يصمم ويكتب رؤيته وأبحاثه ونقده وتعريفه بما لا نعرف من مجالات وموضوعات عالم الفن البصرى فى بلادنا وفى بلاد العالم، ونشر هذا كله فى «صباح الخير» ثم فى مجلدات يسميها «ألبومات» تعتبر موسوعة علمية وفنية فى مجال هذا الفن الذى لا يلقى عناية كافية، وتشعر فى كتابته بروح وطنية مصرية عربية وبأداء يجمع بين الذكاء وخفة الظل والتطلع إلى المستقبل.

عن مجلة صباح الخير

محيي الدين اللباد: العين الناقدة تواجه عقم العصر

وائـل عبـد الفتاح

يبدو غريباً هنا، في مكتبه، مع أنّه يعرف كل تفاصيل المكان. غربتـه ليست وليـدة البعد بـل التطرف في الاقتراب. هذا الرجل مهووس بالتفاصيل، وهو سر اختياره فنّ الغرافيك. ذلك الفضاء الساحر الذي لعب فيه كل الألعاب: رسم الكاريكاتور، تصميم المجلات والكتب، مشروعات مختلفة تشتغل على العلاقة بين الخطوط والفضاء والكلام.

يعلـن بشيء مـن الفخر: «اخـترت طريقـي وأنا في الثامنة». لكن كيف يحلم طفل عاش في الخمسينيات بمهنـة لـن تعـرف علـي نطـاق واسـع إلا مـع نهاية القـرن العشريـن؟ بـدلاً مـن الإجابة، يحكـي الفنان المصري الكبير عن غرامه بأوراق الصحف: أشكالها وروائحهـا، وملمس المجـلات والكتـب: «كتب كامل الكيـلاني كانـت تناديني. شكل صفحاتها يحكي لي حكاية لم أعرف سرّها إلا عندما كبرت».

المجـلّات غـيّرت عالم الطفـل الوحيد الـذي جاء بعد خمسة أطفال كلّهم ماتوا. عاش الأهل في حالة خوف دائمـة عليـه. أحاطـوه برعايـة خائفـة، وعلقوا في رقبتـه حجاباً لمنع الشرور. عندما كبر اللباد وفتحه، اكتشف أنّه يحتوي على رأس هدهد وطلاسم مكتوبة بلغـة غريبـة، ومربّعـات ومثلثـات ورمـل. اكتشافه الأهـمّ كان مجلـة صدرت مطلـع عـام ١٩٥٢. اسمها «سندبـاد». بطلهـا الصبي الرحّالة الخـارج من عالم «ألـف ليلة وليلة»، جـاء مفعماً بالحيويـة ومشحوناً ببطاقـة خفيّـة، فحفـر مكانـه في ذاكـرة الطفـل ذي الاثني عشر ربيعـاً. وهناك «زوزو... المغامر»، أحبّه اللباد بطلاً تنتهي مغامراته بالفشل. فهو مثله اتخذ المغامرة متعةً وأسلوب حيـاة. المعارك التي خسرها اللبـاد كثيرة، لكنّه كان يخرج كل مرّة بإنجازات على طريق تحرير الخيال من العبودية على أشكالها.

محيـي الديـن اللبـاد يمتلـك كل مواصفـات الكائـن السياسـي. يتابـع ويحلل ويناقـش باستمرار، وهو منخـرط في القضايـا العامـة. لكنّـه لا يـرى نفسـه سياسيـاً. عنـدمـا انضـم إلى تنظيـم شيوعـي، فعل ذلـك لأنّـه كان يتصـوّر «أنّ كل الفنانـين شيوعيّون». فهو متمرّد على الصـور النمطية التي تكوّن الوعي، وتتحكّـم في نظـرة النـاس إلى العـالم. لا يعـادي الحـكّام، بقـدر مـا يتصـدّى للخيـال العقيـم. هناك حلـم متكرر يـراوده. يحلـم أنّه يـركل عبـد الناصر ثـم يجـري. يحـب الريّـس قليـلاً لأنّـه «شفـى غليل المصريـين». زوجتـه تـرى أنّ محبّتـه لجمـال عبـد الناصـر وليدة التشابه بينهمـا على مستوى «جنون العظمـة». السادات بالنسبة إليـه «أسوأ أيام» مصر، وكامب ديفيد «لن تقوم البلد من بعدها».

كان محيـي الدين أوّل قاهري في العائلة المنتقلة إلى العاصمة الكوزموبوليتيّة. وأوّل مَن لبس بنطلوناً. فـالأب الأزهري من قرية تابعـة لمدينة دسوق، مدينة المشايـخ النائمة في رحاب ولي صـوفي اسمه على اسم المدينـة. كان متحـرراً، عاشـ في زمـن الشيخ عبـد العزيز البشري الذي كان يشـرب الخمر. «زمن مختلـف تمامـاً. أمّـي كانت تخـرج مع أبـي حاسرة الرأس، وبملابس حديثة رغم أنّها لم تدخل مدارس. كان لـدى أهلـي شغف بالحداثـة، لكنّ أبـي أدرك أنّه لـن يكون قاهريـاً، ولا حديثاً تماماً، فـترك لنا الباب مفتوحاً بمرونـة، وتابع من بعيد».

الشاب المسكون بخيـالات أخـرى، تـرك كلية طب الأسنـان قبـل نهايـة العـام الجامعـي الأوّل. وسار خلف بيكار، أشهر رسامي الصحافة في الأربعينيات والخمسينيات، وحتى رحيلـه أوائل القرن الحالي. حسـن فـؤاد الرسـام والمصمـم والسياسـي «كان الخطفـة الثانيـة». قـاده إلى عالم مدهش مـن الرسم المعبر من دون كلام. والتصميم الذي يكاد يغني عن الحكايـة. مشاغله كانت تذهب أبعد من الرسم، إلى الخطـاب البصري، والرسالة التـي ينطوي عليها ما تنتجه وسائل الدعايـة والتواصل الجماهيريّة. منذ الطفولة كان مولعاً بطوابع البريد والنمّقة المصرية.

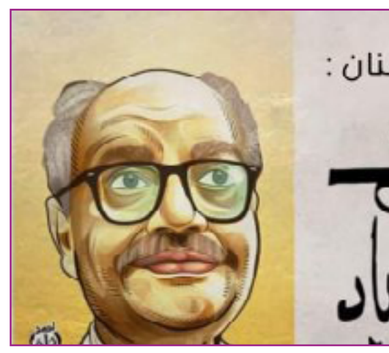

تذكـرة الأتوبيس، إعلان سجائـر أو مسرحية. علبة كبريـت، العملة الورقيّـة، ورقة اليانصيب، لافتات الدكاكين، الإعلانات على الجدران... «هذه العلامات تكوّن صورة للزمن».

اليـوم مكتبه ورشـة منظمة، وهو «أسطى» وشغّيل لا يستسلـم للرفاهيـة التـي تفترضهـا شهرته في عالم صناعة الكتب. يتعامل مع حرفته بمنطق «العاشق»، أكـثر منه «معلماً محترفاً». ورشتـه صومعة وقاعدة خلفيّة، فاللباد هارب فعـلاً. يسكن ويعمل في «دولة» مصـر الجديـدة، البعيـدة عن قلـب العاصمـة. يقيم في جزيـرة خاصـة، رغـم أنّه ابـن القاهـرة القديمة بشوارعها الصاخبة ومزاجها الحاد. المترو ومطابع الزنكوغـراف في شـارع محمـد علـي. اللبـاد غريب يعمل في مهنة مرتبطة حسيّاً بالجمهور.

عمـل محيـي الديـن اللبّـاد في مشاريـع تجمـع بين الرسـم والكتابـة: من حلمـه الساحر «سنـدبـاد» إلى مشروع «كروان» الذي لم يكتمل لمواجهة «سوبرمان» و«الوطـواط». النقلـة في مسيرتـه جـاءت مع «روز اليوسـف»، مدرسـة الرسـم الكبـيرة، بعـد رحيـل صـلاح جاهين... «لا أعرف لماذا كان جاهين يستخف بالكاريكاتور، مع أنه وجورج البهجوري غيّرا ملامح هـذا الفنّ». ويضيف: «لا أحد يعرف هذا الرجل. كان يستخدم الـذكاء الاجتماعي ليـداري اكتئاباً كبيراً». أمـا حجـازي، رسـام الكاريكاتور الشهـير في جيله هـو الآخر، فميزتـه أنّه «ليس عنده ادّعـاء. يرسم ما يحـب ويعرف. ومـرات يجلس معك يتكلـم في الفن والسياسة، ثـم يلعب الورق مـع الصعاليك». بهجت عثمـان؟ «أكثر انفتاحاً من حجـازي... لكنّه ميّال إلى إعلان مواقف عمومية».

في الكاريكاتـور لا يحبّذ اللباد اللعب على المضمون. «علـى الكاريكاتـور أن يصـدم طريقـة التفكير الجاهـزة... أن يخـرّب النظـرة النمطيـة. لا أحـب القـارئ الـذي ينتظـر نصيحـة، أو تأكيـداً علـى أنّ الأشـياء التي يكرهها تستحق الكراهية». هذا الفنّان يبحـر في الاتجـاه المعاكس للمدرسة التـي تداعب الجماهـير، عبر تقـديم نكتة سهلـة الهضم، وتوصل الرسائـل كاملـة للقـارئ الكسول. قارئـه النموذجي يتحلّـى بحسّ نقدي ومقدرة على التفكير، ولا يكتفي بتقسيم العالم إلى خـير وشرّ».

«لستُ من جيل الرسائـل الكاملة» يـردّد اللبّاد، كمن يدفـع عنه تهمـة مزعجـة وخطـيرة... «لست الذي يتصـوّر أنّه يعـرف كل شيء، وأنّ مهمتـه توصيل تلـك المعرفة. التبشير ليس مهنتي. والرسالة الكاملة إعـلان عـن دور منتـه». يفهـم عملـه اكتشافـاً دائماً، وسفـراً إلى مناطـق مجهولة: «لا أتـحرك تبعاً لخطّ مستمـر. أعمل حاجـات وأرجع أبوّظهـا». ويضيف بعد صمت: «أنا هاو».

مـا الـذي يشغلك أنـتَ الآن؟ أجـاب بسهولة: «العمر». نستفسـر، فيضيـف بالسهولـة نفسهـا: «كبـرت. أصبحـتُ في عمـر والـديّ، ولم يعـد أمامـي أشيـاء مؤجلة».

جريدة الاخبار اللبنانية

محيي الدين اللباد.. صورة الفنّان مع كتبه

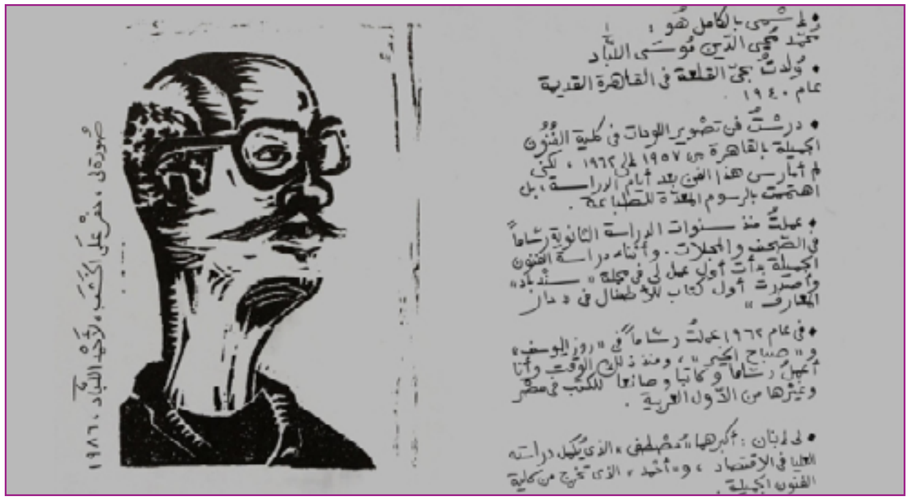

سنـاء أمـين

بسبب التكريس، النقدي ثم الإعلامي، كثيراً ما جرى اختزال الفن التشكيلي في مصر – كما في غيرها من الفضاءات الثقافية – في اللوحة، وذلك إلى وقت قريب من القرن العشرين، فيما بقيت المحامل الأخرى في الظل. ورغم تكريس تجارب إبداعية كثيرة لمنجزها خارج اللوحة، سواء في الجداريات أو في الرسم على الورق أو غير ذلك، فإنها بقيت إلى حد كبير على هامش الدراسة الفنية، لتبدو في الغالب كفن عفوي لا أكثر.

رغم هذه المساحة الضيقة، استطاعت بعض الوجوه أن تجد لها موقعاً في الضوء، ومنها تجربة محيي الدين اللباد (١٩٤٠-٢٠١٠) الذي تحل اليوم ذكرى رحيله الثامنة، بمصطلحات حديثة، يمكن القول إن اللباد كان غرافيكياً Graphist أكثر من كونه فناناً تشكيلياً، من دون أن يلغي ذلك وجود رؤية فنية كأي فنان آخر، رؤية نجد أثرها العميق في رسومات عديدة في المجلات التي اشتغل فيها وفي الكتب التي صمّمها، وحتى في رسوم الكاريكاتير.

أهـم مـا يمكن التقاطه في منجـز اللباد هـو قدرته على اختزال التراث البصري المصري في الرسم الغرافيكي ومن خلال ذلك الحديث عن الحياة بمختلف تشعّباتها، وذلك عمل لم يكن هيّناً، على اعتبار أن ملامسة التراث أو استعارة مفرداته البصرية كثيراً ما يوقع التشكيليين في الدائرة المفرغة لاستهلاكه. الغرافيكي المصري كانت له هذه القدرة على التجاوز، حيث لا تخطئ العين وجودَ التراث في رسمة من رسوماتـه، ولكنها لا تخطئ أيضاً أن العمل حديث.

هنـاك علاقـة متينة للّباد مـع الكتب متعـددة المستويات يجدر التوقف عندها، بداية بكون الكتاب يظل أحد أبرز أشكال التصميم. لكن علاقة اللبـاد لا تتوقف هنا، حيث إنه كان منتجاً للكتب، وهو أمر نادر لدى التشكيليين في العالم العربي.

ومـن أبـرز مـا قـدّم سلسلة في أربعـة أجـزاء بعنوان "نظر" صدّرها ببيت الشاعر اللبناني بشارة الخوري "إن عشقنا فعُذرنا أن في وجهنا نظر"، وهي كتب تَبسط فنونـاً تشكيلية مختلفة، منها التصميم والكاريكاتير ولكـن لا تنحصـر فيهـا، ليتنـاول رسومـات الأطفال ورسومات علـم التشريح والتصميم الصناعي وتحاول إدماجها في الثقافة العامة العربية.

وضَـع اللبّـاد أيضاً مؤلفاً بعنوان "حكايـة الكتاب: من لفافـة البـردي إلى قرص الليـزر"، وهو عمـل تاريخي بحثـي يشـير إلى هـذه العلاقـة المتينـة بـين الفنـان المصـري والكتـاب، ومـن الضـروري إضاءتهـا حيـث يغلـب في الثقافـة العربيـة منطـق يجعل الكتـاب حكراً على دوائر الأدب والفكـر (كما يحصر اللوحة في دوائر التشكيليـين)، في حين أن جميـع هذه العناصر يمكن أن تنفتح على بعضهـا وتتفاعل، لتصبّ كل الأنهار في بحر واحد.

العربي الجديد

manarat
www.almadasupplements.com
رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير
فخري كريم
رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين
سكرتير التحرير
غادة العاملي
رفعة عبد الرزاق
طبعت بمطابع مؤسسة المدى للاعلام والثقافة والفنون

وداعاً «طفلنا» الأحب محيي الدين اللبّاد

طـــلال سـلـمـان

فقـدت الثقافة العربية، واحداً من روادهـا هو «صانع الكتب» المبدع محيـي الدين اللباد: رسام الكاريكاتـور المميز بأفكاره قبـل خطوطـه، وأحـد المؤسسـين لمجـلات الأطفـال والكتب الموضوعـة لهـم بعـد دراسـة وتـأن واجتهـاد في التوغل في عالمهـم السري الغامض والمبهج والمثير للدهشـة. لقد اقتحم هـذا «الطفل الأسطوري» الميـدان الفسيح لعالم الطفل العربي الذي لم يكن يحظى بالحـد الأدنى من الاهتمام، على مستوى تثقيـف وجدانـه وذاكرتـه وعينـه، بـل غالبـا مـا كان يترك. كمستجد في الدخول إلى عالم القراءة .للمطبوعات الأجنبية، كتباً ومجلات ومسلسلات تلفزيونية عنصرية في مضمونها، ركيكـة في أفكارهـا ورسومهـا، وغريبة عن وعيـه وموروثه الثقـافي. وهكذا صار الطفل العربي موضوعه الأثير وشاغله الدائـم، إلى جانـب جهـده الدائـم في تصحيح مفهـوم الأهل وسبـل تثقيف أطفالهم واستدراجهم إلى عالم الكبار بمغريات تختلـط فيهـا أسبـاب المعرفـة بالتسليـة والترفيـه والمتعـة البصريـة. أراد محيـي الديـن اللبـاد، وحاول، فنجـح غالبا، وأعجزته الإمكانات أحيانا، وأفشله نقص اهتمام الأهل، ومن قبلهم الدولـة بأجيال الغد، ثقافة ومعرفـة واطلاعا ومنظورا مستقبليا لموقعهم ودورهم في مجتمعهم.

كتـب ورسـم وأبدع فتميز في فـن الكاريكاتـور، ونال جوائز عالميـة قيمة في أكثر مـن معرض مفتوح لكبـار الرسامين في العـالم. ثم اهتم بصناعـة الكتاب فأنتج مجموعـة من الأغلفة التـي تضيف إلى النص فتكمله أحيانـا، او تؤكد مضمونه او تشـرح القصد منـه وتوضح مـا اكتفى الكاتـب بالتلميح إليه مبتعـدا عن التصريح لأسباب يمكن فهمها، بينها الخوف من السلطـان سواء أكان سيافا جاهـلا إم طاغية يقوده التعصب إلى معـاداة المجتمـع وإعلان الحرب عليـه. لعب محيي الدين اللبـاد دورا تأسيسيـا في مختلـف المجـلات والكتـب وسائر المطبوعـات الخاصـة بالأطفـال، مـن مجلـة «السندبـاد» في القاهـرة، إلى «دار الفتـى العربـي» في بيروت التـي استدرج إليها أقلام الكتاب الكبار فأنتجت أرقى ما أنتج في هذا المجال. كذلك فهو من وضع التصميم لمطبوعة «العربي الصغير» التي كانـت تصدرها وتوزعها مجلة «العربي» الصادرة في الكويت مـع كل عـدد مـن أعدادهـا. وحـاول اللباد فنجـح في تحديث أساليب كتابـة الحرف العربي للصحـف خاصة والمطبوعات عموما... كما قدم إسهاما لافتا في تطوير الإخراج الصحافي، فكان كمن يؤسس لمكتبة عربية جديدة تستهل نشاطها بالطفل ثـم تتابع نمـوه. كقارئ. فتقـدم له نمطا مختلفـا في إخراجه وحرفه وتشكيله عن السائد المنقول أو المتبلّد بالتقادم.

وبالنسبـة إلى «السفير» بالـذات والتـي كان محيـي الديـن اللبـاد بين مـن أسهموا في تطويـر حرفها وصيغـة إخراجها بمـا يضيـف إلى مادتها التحريريـة قيمة بصرية، فـإن فقدان هـذا الصديـق الكبير قد أصابهـا بصدمة حزن عميـق، إذ كنا دائمـا علـى موعد معلق معـه من أجـل التحديـث والتطوير. ها هـو اللباد يلتحق بالرواد الكبار الذيـن غادرونا بلا وداع، حسـين بيكار وحسن فؤاد وعبد الغنـي أبو العينين، وصلاح جاهـين وبهجت عثمـان أو دخلوا في الصمـت مختارين مثل البهجوري وأحمد حجـازي ونبيل السلمي ورجائي وغيرهم ممـن أطلقتهم مجلـة «روز اليوسـف» ورعتهم مجلـة «صباح الخـير» ثم دار الهـلال بقيادة أحمـد بهاء الدين قبـل ان تطفأ الأضـواء في القاهـرة المحروسـة ليعـم الظـلام في الأرض العربيـة. لقـد ترك لنـا معالم طريـق إلى التقدم عـبر كتاباته. البصريـة حيـث يوائم بين المقروء والمنظور مـن أجل اكتمال المعنـى، وهي فلسفة كرس لها «نظر.١» ثم «نظـر.٢»، قبل ان تتوقـف مـع «نظـر.٣» لأن مـن في وجوههم نظـر لم يعطوها مـن الأهميـة ما تستحق. ثـم إنه كان احد قلائـل العالميين من الرسامـين العرب، إذ فتحت له «لوموند دبلوماتيك» صفحاتها فقدم فيها بعض نتاجه المميز، والذي سنفتقده في زمن العتمة الـذي يلـف منطقتنا فيعظم مـن شأن الجهـل والجهلة ويطرد المستنيريـن إلى العالم البعيـد... حرصا على نعمة الجهل في الاستقـرار او الاستقـرار في الجهل. إلى اللقاء يـا ابن اللباد الـذي فضل ان يطبب العقول والذاكـرة والعيون تاركا لغيره ان يهتم بأسنان أكلة العلم والثقافة والنور.

من ارشيف جريدة السفير